محمد عبد الخالق عضيمة وجهوده في الدراسات القرآنية

دراسة تحليلية تطبيقية لكتابه :

"دراسات لأسلوب القرآن الكريم"

بقلم

[redacted]

مدرس الدراسات الإسلامية

بكلية التربية - جامعة عين شمس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، والصلاة والسلام على صفوة خلقه محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين أما بعد .

فإن القرآن الكريم هو المعجزة التي أيّد الله بها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، والدستور الذي وضعه الله لعباده ، ولقد عرف السابقون واللاحقون من العلماء فضل هذا القرآن على وجودهم ، فأحاطوه بجلّ عنايتهم ، وخالص اهتمامهم ، فكان زادا لهم ، ومنهلا للعلماء على اختلاف مشاربهم " قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سُبُلَ السَّلام ويُخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم " المائدة ٥/ ١٥ ـ ١٦

وشيخنا الأستاذ عضيمة [1] واحد من هؤلاء العلماء الأجلّاء ، الذين عكفوا على

---

(١) في حديث مع زوجة المؤلف ـ رحمه الله ـ أفادتني بأنه قد ولد في يناير ١٩١٠ م في قرية خياطة مركز قطور ـ طنطا محافظة الغربية ، وقد تخرج من المعهد الديني بطنطا ، والتحق بعدها بالأزهر الشريف حتى حصل على الشهادة العالمية في أبريل ١٩٤٤ م .

عمل بجامعة الأزهر حتى عام ١٩٤٨ م ، ثم عمل بعدها بالمعهد الديني بمكة المكرمة من عام ١٩٤٨ م ولمدة ست سنوات ، ثم سافر إلى ليبيا فعمل بها سنتين عاد بعدها إلى أرض الوطن فعمل بجامعة الأزهر سنة واحدة ، ثم طلب بعدها للعمل بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ، واستمر عمله بها أربع عشرة سنة أحيل بعدها إلى المعاش .

وللمؤلف ـ رحمه الله ـ كثير من المؤلفات العلمية على رأسها هذا الكتاب :

- دراسات لأسلوب القرآن الكريم . ومنها
- المقتضب للمبرد . " تحقيق "
- فهارس سيبويه .
- المغني في تصريف الأفعال .
- اللباب في النحو والصرف .
- المذكر والمؤنث ..... وغيرها من الأعمال .

وقد حصل المؤلف على جائزة العلوم والفنون في مصر في ٣٠ / ٣ / ١٩٨١ م ، كما أنه قد نال جائزة الملك فيصل العالمية على هذا الكتاب الذي نكشف اللثام عن أهميته " دراسات لأسلوب القرآن الكريم " وذلك سنة ١٩٨٢ م .

وبعد حياة عامرة تزوج خلالها وأنجب ثمانية من الأبناء منهم ثلاثة من الذكور ، وخمسة من الإناث كلهم أطباء في تخصصات مختلفة عدا واحدة تعمل مهندسة ، وقد بنى ـ رحمه الله ـ دارا للشفاء في حلوان ، ومسجدا بطنطا ، وتوفي في ١٢ / ١ / ١٩٨٤ م رحمة الله عليه .

القرآن الكريم فى محراب العلم ، وظهرت آثار هذه المعايشة فى فيض علمهم ، وغزير مؤلفاتهم ، ولا سيما فى مثل هذا الكتاب الفريد الذى نقف أمامه فى هذا البحث ألا وهو " دراسات لأسلوب القرآن الكريم " .

وهذا الكتاب أمضى فيه صاحبه ثلاثة وثلاثين عاما دأباً ، دون مَلَلٍ أو كلل ، بين الدرس والتأليف والطباعة ، حتى رأى هذا الكتاب النور ، وظهر فى ثوبه القشيب ، فاستحق مؤلفه ـ من كل من طالع الكتاب ـ كلَّ تقدير وإكبار .

والكتاب موسوعة علمية رائعة استمدّت مادتها من أساليب القرآن الكريم ، وهو يقع فى أحد عشر مجلدا كبيرا ، وتبلغ صفحاته حوالى سبعة آلاف وثلاثمائة وخمس وثلاثين صفحة ، وجعله مؤلفه ثلاثة أقسام كبيرة :

القسم الأول : ويضم المجلدات الثلاثة الأولى .

القسم الثانى : وهو المجلدات من الرابع حتى السابع .

القسم الثالث : وهو من المجلد الثامن حتى الحادى عشر .

وسوف أكتفى فى هذا المقام بتسليط الضوء على النقاط التالية :

أولا : أهمية الكتاب ودواعى تأليفه .

ثانيا : محتوى الكتاب .

ثالثا : مصادر الكتاب .

رابعا : دفاعه عن القراء .

خامسا : موقفه من الاحتجاج بالحديث الشريف .

سادسا : موقفه من المفسرين .

سابعا : سمات منهجه .

* * * * *

أولا : أهمية الكتاب ودواعي تأليفه

لقد شعر المؤلف بحاجة العلم إلى إنشاء دراسة شاملة لأسلوب القرآن الكريم ، وقراءاته المختلفة التي تحوى ثروة لغوية ونحوية تفيد الدارس والقارئ بدلا من هذه الأمثلة النحوية التي درج عليها الباحثون جيلا بعد جيل ، حتى أصبحت كشراب فاتر ، لا تجد له لذة مثلوج ولا حرارة ساخن .

وعن دواعي تأليف هذا الكتاب ، والغاية منه يقول مؤلفه : " ولو أراد دارس النحو أن يعتكم إلى أسلوب القرآن وقراءاته في كل ما يعرض له من قوانين النحو والصرف ما استطاع إلى ذلك سبيلا ؛ ذلك لأن الشعر قد استبد بجهد النحاة ، فركنوا إليه ، وعولوا عليه ، بل جاوز كثير منهم حده ، فنسب اللحن إلى القُرَّاء الأئمة ، ورماهم بأنهم لا يدرون ما العربية !

وكان تعويل النحويين على الشعر ثغرة نفذ منها الطاعنون عليهم ؛ لأن الشعر روى بروايات مختلفة ، كما أنه موضع ضرورة . لهذا مست الحاجة إلى إنشاء دراسة شاملة لأسلوب القرآن الكريم في جميع رواياته ؛ إنفي هذه القراءات ثروة لغوية ونحوية جديرة بالدرس ، وفيها دفاع عن النحو ، تُعضَّدُ قواعده ، وتُدعَّمُ شواهده " راجع ١/ ٢ .

ومما يُبرز أهمية الكتاب ، وكونه عملا علميا دون الجهد والطاقة ، وما يميزه عن عمل الأقدمين ما يقوله الشيخ محمود شاكر في تصديره للقسم الأول من الكتاب إذ يقول : " ويظن أستاذنا الشيخ عضيمة أن الأوائل قد شغلهم الشعر عن النظر في شواهد القرآن العظيم ، وأظن أن الذي تولاه أستاذنا من حصره هذه الأشياء في القرآن العظيم، وتنزيلها منازلها من أبواب علم النحو ، وعلم الصرف ، وعلم أساليب اللغة مقدمة فائقة الدلالة لعمل آخر ينبغي أن تتولاه جماعة منظمة في حصر ما في الشعر الجاهلي والإسلامي من حروف المعاني ، ومن تصاريف اللغة، ومن اختلاف الأساليب ودلالتها، والذي ظن الأستاذ أن القدماء قد فرغوا همهم لها ، هو في الحقيقة ناقص يحتاج إلى تمام ، وتمامه أن يهيئ الله للناس من يقوم لهم في الشعر بمثل ما قام به هو في القرآن العظيم ، وإذا تم هذا كما أتم الشيخ عمله في القرآن العظيم ، فعسى أن يكون قد حان الحين للنظر في " إعجاز القرآن " نظرا جديدا لا يتيسر للناس إلا بعد أن يتم تحليل اللغة تحليلا دقيقا قائما على حصر الوجوه المختلفة لكل حرف من حروف المعاني

وتصريف اللغة ؛ لأن هذه الحروف ، وهذه التصاريف تؤثر فى المعانى ، وتؤثر فى الأساليب ، وتحدد الفروق الدقيقة بين عبارة وعبارة ، وأثرها فى النفس الإنسانية ، وأثر النفس الإنسانية فيها وفى دلالتها " انظر : القسم الأول ـ صفحة هـ ، و .

وهذه الأمنية التى يطمح إليها الشيخ شاكر أصبحت تمثل ضرورة كبيرة ، بل يجب أن تتحول إلى واقع ملموس ، فكما فعل الشيخ عضيمة ـ بمفرده ـ فى هذا الكتاب يجب أن يتجه الباحثون المخلصون لدراسة اللغة والشعر الجاهلى والإسلامى سيرا على هذا المنهج الذى انتهجه الشيخ عضيمة فى كتابه ، وحينها سيظهر بوضوح لون آخر من الإعجاز القرآنى الذى يقوم على التحليل والمقارنة بين أساليب القرآن الكريم وغيره من الأساليب اللغوية والشعر العربى .

ولا شك أن هذه الدراسة التى لم يسبق إليها ، وقد قامت على استقراء أسلوب القرآن القرآن الكريم ، وقراءاته المختلفة ، مما أثرى الدراسات النحوية ، وجعلت الدارس يحتكم إلى أى أسلوب من الأساليب، وهل ورد فى كتاب الله أما لا ؟ يقول عضيمة : "وما من شك فى أن هذه الدراسات قد أثرت الدراسات النحوية إثراء عظيما، وحفلت بالكثير من الطرائف والفرائد والفوائد ، وما ذاك إلا لكثرة المراجع التى اعتمدت عليها وتنوعها . لم أقتصر على كتب النحو وحدها ، ولا على كتب الإعراب وحدها ، ولا على كتب التفسير وحدها ، وإنما شملت القراءات كثيرا من الكتب المختلفة ، كما ارتكزت هذه الدراسات على استقراء أسلوب القرآن وقراءاته المتنوعة .

وقد استهدفت أن أنقل دارس النحو والصرف من الأمثلة المحدودة ، والشواهد المحصورة التى صارت (أكلشيهات) تنقل من كتاب إلى كتاب ، أردت أن أنقله إلى المجال الأرحب والأفسح ، مجال القرآن الكريم وقراءاته .

لقد كان يتعذر على دارس النحو والصرف أن يحتكم إلى أسلوب القرآن وقراءاته فى كل ما يتعرض له من قوانين النحو الصرف ، فيسرت له هذه الدراسات هذا الاحتكام ، فيستطيع أن يعرف متى أراد: أورد مثل هذا الأسلوب فى القرآن أم لا ؟ وإذا كان فى القرآن فهل جاء كثيرا أو قليلا وفى قراءات متواترة أو شاذة ؟

وفى هذه الدراسات أيضا دفاع عن النحو ، فما أكثر ما رمى النحويون بأنهم سرقوا النحو اللاتينى ، أو الإغريقى ، أو السريانى ، وأنهم وضعوا الحركات الإعرابية وابتدعوها ، فبينت هذه الدراسات أن القواعد التى وضعها النحويون تتمثل فى أسلوب

القرآن الكريم وقراءاته ، وبذلك تبرأ ساحة النحويين من هذا الاتهام الغاشم الظالم " ١١/ ٥٧٩ ـ ٥٨٠

ومما يزيد الكتاب أهمية ، أنه قد تخطى بكثير ما وقفت عنده المعاجم القرآنية[1]، التى كان أقصى ما وصلت إليه هو حصر الألفاظ الخاصة بالأفعال وبعض الأسماء ، وإحصاء الآيات التى تمثلها ، أما عن الحروف والضمائر ، وأسماء الإشارة ، والأسماء الموصولة ، وبعض الظروف ، فإنها لم تعن بها ، ولم يرد لها ذكر .

كما أن هذه المؤلفات فى فهرسة ألفاظ القرآن ، لم ترد الأفعال ، والأسماء بها مرتبة ترتيب أبواب النحو والصرف ، مما يعوق النفع بها ، فجاء هذا الكتاب شافيا كافيا .

ويوضح المؤلف ما يميز كتابه عن غيره من هذه الكتب ، والفروق الواضحة التى يلمسها القارئ بينهما فيقول : " وجدت المصنفين الذين عرضوا لفهرسة ألفاظ القرآن قد تناهت جهودهم عند حصر ألفاظ القرآن ، وبعض الأسماء ، وإحصاء آياتها ، وتركوا هذا الإحصاء فى الحروف ، والضمائر ، والأسماء الموصولة ، وبعض الظروف الكثيرة الذكر كإذ وإذا .

بدأت بإحصاء حروف المعانى ، وجمع آياتها ، كذلك فعلت فى كل ما أغفلت جمعه هذه الكتب :

١ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى رحمه الله .

٢ ـ المرشد إلى آيات القرآن الكريم وكلماته للأستاذ محمد فارس بركات .

٣ ـ فتح الرحمن لطالب آيات القرآن لفيض الله العلمى .

٤ ـ مفتاح كنوز القرآن .

نظرت فى الكتب التى عنيت بإعراب القرآن وأهمها: البحر المحيط لأبى حيان، والكشاف للزمخشرى ، وإملاء ما من به الرحمن للعكبرى ، والبيان للأنبارى ، وحاشية الجمل وغيرها . لخصت ما فيها من أعاريب ، ورتبتها ترتيب أبواب النحو والصرف .....

---

(١) على رأس هذه المعاجم : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم الذى وضعه محمد فؤاد عبد الباقى وقد ظهر فى عديد من طبعاته فى مجلد واحد ، وغيره من المعاجم القرآنية التى ستأتى إشارة المؤلف إليها بعد قليل .

قرأت كتب القراءات السبعية والعشرية والشواذ ..... وأضفت إليها ما ضمنه (البحر المحيط) من القراءات وتوجيهها ، ولخصت ما فى هذه الكتب ، ورتبته ترتيب أبواب النحو والصرف .....

رأيت أن الكتب المصنفة فى فهرسة ألفاظ القرآن لا يتأتى النفع بها إلا إذا رتبت ألفاظ القرآن ترتيب أبواب النحو والصرف ، فالباحث مثلا عن المصادر فى القرآن لا يستطيع أن يقع عليها فى هذه الكتب إلا إذا قرأها ، فإذا أراد البحث عن المشتقات ، أو الأبنية ، أو صيغ الزوائد والأفعال كان عليه أن يقرأها مرات ومرات وهكذا دواليك .

لذلك قمت بترتيب ألفاظ المصحف ترتيب أبواب النحو والصرف ، فجمعت فى كل باب ألفاظه القرآنية ، وبهذا يسهل الوقوف على الآيات عن طريق هذه الألفاظ ، ....." ١/ ٢ ـ ٤

ومن هنا يتضح مدى أهمية الكتاب ، والباعث على تأليفه ، وقيمته كموسوعة علمية قرآنية ، لم يتوان صاحبها فى التسلح لها ، والصبر على تأليفها ، حتى حان قطافها ، وأتت أكلها بإذن ربها .

****

ثانيا : محتوى الكتاب

يتكون الكتاب ـ كما سبقت الإشارة ـ من ثلاثة أقسام كبيرة تشكل أحد عشر جزءا وها هى محتويات كل قسم بإيجاز :

القسم الأول :

المجلد الأول :

وقد درس فيه المؤلف (إذا) فى القرآن الكريم ، ثم انتقل إلى دراسة (إذن) و (أم) و (أن) و (إن وأن) و (إن) الشرطية و (أو) و (أى) و (أين) و (أيان) و (أينما) الشرطية و (أى) .

المجلد الثانى :

ودرس فيه (الباء) فى القرآن الكريم ، ثم دراسة (بل) و (بلى) و (تاء القسم) و (ثم) و (حاشا) و (حتى) و (رب) و (السين وسوف) و (عن) و (غير) و(الفاء العاطفة) و (فاء السببية) و (فى) و (قد) ودراسة (الكاف) و (كأن) و (كأين) و (كل) و (كلما) و (كلا) و (كم) و (كيف) و (كى) و

(اللام) و (لا الناهية) و (لا النافية للجنس) و (لات) و (لا) الزائدة و (لكن) و (لعل) و(لم) و (لما الجازمة) و (لما الحينية) و (لن) و (لو) و (لولا) الامتناعية و (لولا) التحضيضية و (ليت) .

المجلد الثالث :

وتناول دراسة (ما) و (متى) و (من) وصلة بقية الأسماء الموصولة ، و (من) الشرطية و (مهما) ودراسة الحمل على اللفظ وعلى المعنى ، ودراسة (من) وتذييل فى حروف الجر واستعمال حروف الجر بعضها مكان بعض ، ودراسة نون التوكيد وأفعال الأمر ، ودراسة (نعم) و (هل) و (واو القسم) و (واو المفعول معه وواو العطف وواو الاستئناف والواو الزائدة) وأحكام عطف النسق ، وواو الحال، ودراسة (يا) فى القرآن الكريم .

القسم الثانى :

المجلد الرابع :

وتضمن أبنية الاسم الثلاثى والرباعى ، والمقصور والممدود ، والإعلال والإبدال ، والقلب المكانى ، والإلحاق ، وصيغة (أفعل) ، و (فعل) و (فاعل) و (افتعل) و (تفعل) و (افعل) ، و (أفعال) ، و (تفعال) و (استفعل) ، ودراسة الفعل المضارع .

المجلد الخامس :

وفيه دراسة لباب (نصر وضرب) ، والمضارع والأمر من باب (فتح) ، ودراسة الفعل المضاعف ، ودراسة الفعل المثال والأجوف والناقص ، ودراسة اللفيف المقرون ، وأبنية الاسم الثلاثى ، ودراسة أبنية الاسم الرباعى المجرد ، ومزيدج الثلاثى من الأسماء ، والرباعى والخماسى ، وتخفيف الأسماء الثلاثية وتفريعاتها ، والمعرب ، ودراسة المصادر .

المجلد السادس :

وفيه بقية المصادر ، ثم دراسة اسم المكان والزمان ، واسم الآلة ، واسم الفاعل والمفعول .

المجلد السابع :

ودرس فيه المؤلف صيغ المبالغة ، والصفة المشبهة وأفعل التفضيل ، ودراسة المقصور والممدود ، ودراسة المثنى وجمع المذكر السالم ، وجمع المؤنث السالم ، ودراسة الجمع (أفعال) ودراسة التصغير ، والنسب ، وتخفيف الهمزة ، والتخلص من الساكنين ، والإعلال والإبدال .

القسم الثالث :

المجلد الثامن :

وفيه محاضرة أسماها المؤلف : (مع أساليب القرآن) ، ثم انتقل إلى دراسة تسكين المعرب من الأفعال والأسماء فى الوصل فى القراءات القرآنية ، ودراسة الضمائر ، وأسماء الإشارة ، والأسماء الموصولة ، ودراسة العلم ، والمبتدأ والخبر ، وكان وأخواتها ، وأفعال المقاربة ودراسة الفاعل ، ونائب الفاعل .

المجلد التاسع :

وتناول دراسة باب الاشتغال ، والتنازع ، ودراسة المفعول المطلق ، والمفعول به ، ودراسة ظن وأخواتها ، والمفعول لأجله ، والظروف .

المجلد العاشر :

وفيه دراسة الحال ، والتمييز ، والعدد ، والمنادى ، والقسم ، والإضافة ، ونعم، وبئس ، والنعت .

المجلد الأخير :

وفيه دراسة التوكيد ، وعطف النسق ، والبدل ، وأسماء الأفعال ، والممنوع من الصرف ، والتذكير والتأنيث ، وحذف القول ، والجمل التى لا محل لها من الإعراب ، والجمل المستأنفة ، وجواب الطلب ، وتتابع الإضافات ، وفعل التعجب ، ثم اختتم المؤلف كتابه بالفهارس العامة وفهرس القبائل و الأعلام .

****

ثالثا : مصادر الكتاب

تقد أحاط المؤلف كتابه بحشد كبير من المراجع والمصادر التى ظهرت آثارها جلية فى إفادة القارئ ، وتزويده بكثير من الفوائد والطرائف . ولم يقتصر المؤلف على جانب واحد من المراجع ، بل تنقل بين العديد من المصادر المختلفة وعن هذه

الأهمية يقول المؤلف : " وما من شك فى أن هذه الدراسات قد أثرت الدراسات النحوية إثراء عظيما ، وحفلت بالكثير من الطرائف والفرائد والفوائد ، وما ذاك إلا لكثرة المراجع التى اعتمدت عليها وتنوعها . لم أقتصر على كتب النحو وحدها ، ولا على كتب الإعراب وحدها ، ولا على كتب التفسير وحدها ، وإنما شملت القراءات كثيرا من الكتب المختلفة ..... " ١١/ ٥٧٩

وهذا الحشد الهائل من المراجع الذى استفاد منه المؤلف وضمنه كتابه لم يرد له ذكر فى فهارس الكتاب ، ولم يعمد المؤلف إلى تصنيفه أو إدراجه فى ثبت المراجع كما هو معهود فى المؤلفات المختلفة ، ومن خلال قراءتى للكتاب استطعت الوقوف على هذا الكم المتنوع من المراجع التى لا يتسع المجال للإشارة إليها كاملة ، ولا إلى مواطن وجودها وتوظيف المؤلف لها ، ولكن الذى يمكن توضيحه هنا بيان مدى تنوع المصادر التى استقى منها المؤلف ثقافته وضمن بعضها كتابه ، وسأكتفى بتصنيف هذه المصادر المتنوعة ، وأذكر طائفة منها من خلال هذا التصنيف :

١ - مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم :

* البحر المحيط لأبى حيان .
* الكشاف للزمخشرى .
* تفسير القرطبى .
* تفسير النهر لأبى حيان .
* تفسير أبى السعود .
* تفسير ابن عطية .
* تفسير الرازى .
* تفسير الخازن .
* تفسير البغوى .
* تفسير البيضاوى .
* تفسير الجلالين .
* الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى .
* البرهان فى علوم القرآن للزركشى .

٢ - مصادره من كتب الحديث والفقه :

* صحيح مسلم .
* صحيح البخارى .
* النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير .
* الإحكام للآمدى .
* المستصفى للغزالى .

٣ - كتب فهرسة ألفاظ القرآن الكريم :

* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقى - رحمه الله - .

- المرشد إلى آيات القرآن وكلماته للأستاذ محمد فارس بركات .
- فتح الرحمن لطالب آيات القرآن لفيض الله العلمي .
- مفتاح كنوز القرآن .
- مصباح الإخوان لتحريات القرآن لجامعه الحافظ يحى حلمى بن حسين قسطموني .

٤ ـ كتب القراءات السبعية والعشرية والشواذ :

- شرح الشاطبية لابن القاصح .
- غيث النفع فى القراءات السبع .
- النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى .
- إتحاف فضلاء البشر للبناء .
- المحتسب لابن جنى .
- شواذ القرآن لابن خالويه .
- ما ضمه البحر المحيط من القراءات وتوجيهها .

٥ ـ كتب حروف المعانى :

أشار المؤلف إلى العديد من الكتب التى عنيت بحروف المعانى ، ووقف عليها فى كتب التراجم ، ثم حدد لنا ما عثر عليه بالفعل ووصل إلينا ، واستفاد منه المؤلف ، وهذه الكتب هى :

- كتاب الحروف للكسائى ت ١٨٠ هـ .
- كتاب الحروف للمبرد ت ٢٨٦ هـ .
- حروف المعانى لأبى عبد الله بن جعفر التميمى المعروف بالقزاز ت ٤١٢ هـ .
- الحروف لأبى على الفارسى ت ٣٧٧ هـ .
- معانى الحروف لعلى بن عيسى الرمانى ت ٣٨٤ هـ .
- شرح معانى الحروف والأدوات لأحمد بن محمد أبى الفضل الميدانى النيسابورى ت ٥١٨ هـ .
- رصف المبانى فى حروف المعانى لأبى جعفر المالقى ت ٧٠٢ هـ .
- الجنى الدانى فى حروف المعانى للمرادى ت ٧٤٩ هـ .
- مغنى اللبيب لابن هشام ت ٧٦١ هـ .
- معانى الحروف والأدوات لابن القيم ت ٧٥١ هـ .
- جواهر الأدب فى معرفة كلام العرب للإربلى ت ٦٣١ هـ .

أما الكتب الموجودة بالفعل واستفاد منها المؤلف من هذه الكتب فهى :

- **رصف المبانى فى حروف المعانى ، للمالقى ت ٧٠٢ هـ .**

• الجنى الدانى فى حروف المعانى ، للمرادى ت ٧٤٩ هـ .
• مغنى اللبيب لابن هشام ت ٧٦١ هـ . • جواهر الأدب للإربلى ، ت ٦٣١ هـ .

٦ ـ كتب إعراب القرآن الكريم :

• إملاء ما منّ به الرحمن للعُكْبَرِيّ . • البيان فى غريب إعراب القرآن للأنبارى
• إعراب القرآن للحوفى . • إعراب القرآن المنسوب للزجاج .
• إعراب القرآن للنحاس . • البحر المحيط لأبى حيان .
• الكشاف للزمخشرى .

٧ ـ كتب التراجم والتاريخ والسيرة :

• وفيات الأعيان لابن خلكان . • إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى .
• بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى .
• معجم الأدباء لياقوت . • الأشباه والنظائر .
• نهاية الأرب فى تاريخ العرب . • سيرة ابن هشام .

٨ ـ من كتب المعاجم :

• لسان العرب لابن منظور . • المخصص لابن سيدة .
• مفردات الراغب . • القاموس المحيط .
• مقاييس اللغة لابن فارس .

٩ ـ مصادره من كتب الأدب والبلاغة :

• العقد الفريد لابن عبد ربه . • البيان والتبين للجاحظ .
• مهذب الأغانى للنميرى . • شرح أدب الكاتب للجواليقى .
• رسالة الغفران للمعرى . • خزانة الأدب للبغدادى .
• شرح بانت سعاد . • جواهر الأدب للإربلى .
• شرح المفضليات . • الموشح للمرزبانى .
• نهاية الأرب لأبى أثينة . • نهج البلاغة .
• الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز للعز بن عبد السلام .

وهذه الكوكبة الهائلة من المراجع الأصيلة قد أظهرت الكتاب بصورته الموسوعية المدعومة بالوثائق والآراء السديدة .

••••••••••

رابعا : دفاعه عن القراء

تضمنت كتب النحو واللغة والتفسير وغيرها نصوصا كثيرة فى الطعن على الأئمة القراء ، الذين تواترت قراءاتهم فى السبع ، والذين ارتضت الأمة الإسلامية قراءاتهم فركنوا إليها ، وعولوا عليها ، ونسوا أن العربية هى التى تصحح بالقراءة وليس العكس ، وأن العربية هى التى تتبع القراءة ، ومن هنا تسلح المؤلف للدفاع عن القراء ، وخاصة ضد هذه الاتهامات جولة دافع فيها عن سلامة القراءات ، وأنها مأثورة عن خير الخلق أجمعين ، وأفصح العرب قاطبة ، وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم أصحابه رضى الله عنهم ، ومن بعدهم ، وأخذ يضرب العديد من الأمثلة على صحة ما يذهب إليه . راجع ١/ ١٩ وما بعدها .

اتجه المؤلف بعد ذلك إلى النحويين يفند آراءهم ، ويكشف ضعف ما اعتمدوا عليه فى تلحين القراء ، ثم يرد عليهم بالأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة .

ولقد اعتمد النحاة فى تلحين القراء على أشياء ذكرها المؤلف فى النقاط التالية :

١ ـ احتكامهم إلى ما وضعوه من قواعد وسنوه من قوانين .

٢ ـ خفاء توجيه القراءة على بعض النحويين ، ولذا يسارعون إلى تلحينها .

٣ ـ النظر إلى الشائع من اللغات ، والغفلة عن غيره .

ثم يضرب الأمثلة على كل سبب من هذه الأسباب ، ثم يدافع دفاعا شديدا ، ويرد على النحويين وغيرهم ، ويسوق فى رده ودفاعه أقوال العلماء . ونضرب على ذلك بعض الأمثلة من أقوال العلماء التى ساقها المؤلف ، واحتج بها على رد أقوال النحاة فى تلحين القراء ، ومن هذه الأمثلة قوله : " فى غيث النفع ٤٩ ـــ ٥٠ (القراءة لا تتبع العربية ، بل العربية تتبع القراءة ، لأنها مسموعة من أفصح العرب بإجماع ، وهو نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم ، ومن أصحابه ، ومن بعدهم) " .

وقال ابن الحاجب فى شرح المفصل : " والأولى الرد على النحويين ، فليس قولهم بحجة عند الإجماع ، ومن القراء جماعة من النحويين ، فلا يكون إجماع النحويين حجة مع مخالفة القراء لهم ، ولو قدر أن القراء ليس فيهم نحوى ، فإنهم ناقلون لهذه اللغة ،

وهم مشاركون النحويين فى نقل اللغة ، فلا يكون إجماع النحويين حجة دونهم ، وإذا ثبت ذلك كان المصير إلى قول القراء أولى لأنهم ناقلون عمن ثبتت عصمته عن الغلط فى مثله ، ولأن القراءة ثبتت متواترة ، وما نقله النحويون آحاد ، ثم لو سلم أنه ليس بمتواتر فالقراء أعدل وأثبت ، فكان الرجوع إليهم أولى " لطائف الإشارات للقسطلانى. راجع كتاب المؤلف ١/ ٢٧

ومما ساقه من آراء العلماء لتبرئة ساحة القراء من اتهام النحويين قول الفخر الرازى ـ رحمه الله ـ إذ يقول : " أنا شديد العجب من هؤلاء النحويين إذا وجد أحدهم بيتا من الشعر ، ولو كان قائله مجهولا يجعله دليلا على صحة القراءة وفرح به ، ولو جعل ورود القراءة دليلا على صحته كان أولى " ١/ ٢٧ .

وقال صاحب الانتصاف : " ليس القصد تصحيح القراءة بالعربية بل تصحيح العربية بالقراءة " وقال النضر بن شميل : " إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤية ، فهلا جاز أن يحتج بقوله الحسن وصاحبه ..... " .

وقال أبو حيان فى البحر ٧/ ٢٦١ " القراءة سنة متبعة ، ويوجد فيها الفصيح والأفصح ، وكل ذلك من تيسيره تعالى القرآن للذكر ..... "

وليست هذه كل الأقوال التى ساقها المؤلف ، بل ساق كثيرا من الأقوال مثلنا ببعضها ، وساق أدلة أخرى من أقوال العلماء مثل ابن عطية وأبى عبيد القاسم بن سلام ..... وغيرهم ، ودافع دفاعا هادئا مشفوعا بالأدلة ليصل إلى هدفه المنشود ، وهو تبرئة القراء والقراءات من تجنى النحويين وغيرهم ، والإشارة بأصابع الاتهام إلى هذه القراءات سواء المتواترة أو غيرها . راجع ١/ ٢٥ وما بعدها .

ثم نراه يكون أكثر تخصيصا فيذكر أنه من خلال ما جمعه عن تلحين القراء تبين له أن أكثر القراء الذين لحنهم النحويون هو ابن عامر وحمزة ، وينبرى للدفاع عنهما ، ويسوق الأدلة من أقوال العلماء كأبى حيان ، وابن جنى وغيرهم . راجع ١/ ٣٠ ـ ٣٣

ومن الدقة المتناهية فى دفاعه عن القراء أنه قدم للقارئ إحصاء دقيقا بنصيب كل قارئ من القراء السبعة فى تلحين قراءته بدءا بابن عامر ت ١١٨ هـ ، ثم يذكر المواضع التى يلحنونه فيها ، ومن أنكر قراءته ، وهذه إحصائية موجزة بأسماء القراء، وعدد المواضع التى تمثل نصيبه من اللحن المنسوب إليه نصوغها فى الجدول الآتى :

م	القراء السبعة	عدد مواطن اللدن في قراءاتهم
١	ابن عامر ت ١١٨ هـ	ثمانية عشر موضعا
٢	ابن كثير ت ١٢٠ هـ	تسعة مواضع
٣	أبو عمرو بن العلاء ت ١٥٤ هـ	سبعة مواضع
٤	نافع ت ١٦٩ هـ	اثنا عشر موضعا
٥	عاصم ت ١٢٧ هـ	سبعة مواضع
٦	الكسائي ت ١٨٠ هـ	أحد عشر موضعا
٧	حمزة ت ١٥٠ هـ	خمسة عشر موضعا

راجع بالتفصيل هذه المواضع ١/ ٣٤ ـ ٤٣

ثم ذكر المؤلف بالأدلة الطوائف التي لحنت القراءة ، وجعلها مرتبة كالتالي :

١ ـ من الصحابة والتابعين ، وذكر ابن عباس ، والسيدة عائشة رضي الله عنها وشريح القاضي .

٢ ـ ومن النحويين القراء : أبو عمرو بن العلاء ، والكسائي .

٣ ـ ومن النحويين : سيبويه ، وأبو الحسن الأخفش ، والفراء ، وأبو عثمان المازني ، وأبو عباس المبرد ، وأبو اسحاق الزجاج ، وأبو جعفر النحاس ، وأبو علي الفارسي ، وأبو الفتح بن جني ، والزمخشري ، وكمال الدين الأنباري ، وأبو البقاء العكبري .

٤ ـ ومن اللغويين : الأصمعي ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو حاتم السجستاني ، وابن قتيبة ، وابن خالويه ، والجوهري صاحب الصحاح .

٥ ـ ومن المفسرين : ابن جرير الطبري ، وابن عطية .

٦ ـ ومن مصنفي القراءات والقراء : أبو بكر بن مجاهد ، وعاصم الجحدري ، وهارون .

راجع بالتفصيل هذه المواضع ومصادرها ١/ ٤٤ ـ ٩١

••••••••••••

خامسا : موقفه من الاحتجاج بالحديث الشريف

إلى جانب الاحتجاج بنصوص القرآن الكريم وأقوال المفسرين ، فإن المؤلف لم يغفل الاحتجاج ببعض نصوص الحديث الشريف فى دراسته للأساليب القرآنية ، والحديث هو أقوال النبى صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى ، وهو أعلى النصوص فصاحة بعد القرآن الكريم ، ولذا فقد مست الحاجة إلى تقديم نصوصه والاحتجاج بها .

ومما يلاحظ على احتجاج المؤلف بالحديث الشريف ما يلى :

١ ـ عدم الإسراف فى الاحتجاج بالحديث فهو لا يذكر حديثا إلا للضرورة .

٢ ـ لا يحتج المؤلف إلا بالأحاديث الصحيحة التى يتشهد بها فى دراسته للأساليب .

٣ ـ يكتفى المؤلف ـ احيانا ـ بذكر الحديث مجردا عن السند حتى لا يتزيد مكتفيا بموضع الاستشهاد فحسب فيحذف السند ، ويحذف بقية الحديث ومثال ذلك ما ذكره فى مبحث (كل المضافة إلى المعرفة) يقول المؤلف : " فى صحيح البخارى : (كُلُّ أمتى يدخلون الجنة إلا من أبَى) " ثم يترك القارئ دون تزويده بموضع الحديث من الصحاح فيقول : الحديث فى البخارى ـ كتاب الأدب ـ باب ستر المؤمن على نفسه ـ رواه أبو هريرة . راجع ٢/ ٣٥٤

٤ ـ أحيانا أخرى لا يشير إلى راوى الحديث ، ويذكر الحديث كاملا ، ثم يشير إلى مصدره فيقول مثلا : فى مبحث (لعل) فى القرآن الكريم : " وفى الحديث : (وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) " ويذكر مصدره فى النهاية لابن الأثير ٤/ ٥٩ راجع كتاب المؤلف ٢/ ٦٠٢ مبحث (لعل) .

٥ ـ وكما يعنى بذكر السند والمصدر أحيانا ، ففى بعض الأحيان القلية نفتقد ذكره لسند الحديث أو تمامه ، أو مصدره فيقول المؤلف فى مبحث (خبر لعل) : " وفى الحديث أيضا : (لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته) " راجع ٢/ ٦٠٦

••••••••••

سابعا : موقفه من المفسرين

قامت هذه الدراسة الموسوعية على استقراء كامل لآيات القرآن الكريم وحروفه، وكانت مادة هذه الدراسة هى أساليب القرآن ، ولا يستغنى مؤلف هذه مادته عن تفسير القرآن الكريم ومفسريه على اختلاف مناحيهم ، ومن ثم فهو كما يرجع إلى كتب النحو فهو يرجع إلى كتب التفسير ، وحول هذا الشأن يقول المؤلف : " أما فى دراسة حروف المعانى فكنت أبدأ بقراءة ما ذكره النحويون عن الحرف مبتدئا بكتاب سيبويه ومنتهيا بابن هشام ، وأجمع النصوص ، ثم أرجع إلى كتب التفسير والإعراب فى آيات كل حرف آية آية ، وأجمع نصوصها أيضا ، ثم أنعم النظر فى آيات كل حرف ، وما فيه من قراءات ، وأسجل الظواهر اللغوية على ضوء ما جمعته من النصوص " ١/ ٤ ـ ٥

وقد ورد فى الكتاب كثير من كتب التفسير التى استفاد منها المؤلف كتفسير أبى حيان المسمى (البحر المحيط) ، وتفسيره المسمى (النهر) ، وتفسير الزمخشرى (الكشاف) ، وتفسير القرطبى ، وأبى السعود ، وابن عطية ، والخازن و الرازى والبيضاوى وغيرها من كتب التفسير ، كما امتلأ تفسيره بكتب إعراب القرآن مثل : كتاب العكبرى (إملاء ما من به الرحمن)، وكتاب (البيان فى غريب إعراب القرآن) للأنبارى ، وإعراب القرآن للحوفى ، والنحاس ، والزجاج وغيرها .

ولم يكن المؤلف عالة على آراء المفسرين ، أو مجرد ناقل لها ، بل يناقش ويعارض ـ فى كثير من الأحيان ـ إذا وجد شططا يخالف المنطق السليم ، أو الإجماع، وذلك على خلاف غيره ممن درج على تقديس آراء المفسرين ، وجعلها من المسلمات التى لا تناقش بصرف النظر عن الفرق بين ما هو غث أو ثمين .

ويتضح موقف المؤلف من المفسرين من خلال النقاط التى نوجزها فيما يلى :

١ ـ أكثر كتب التفسير ورودا عند المؤلف تفسير أبى حيان (البحر المحيط) ، وتفسير الزمخشرى (الكشاف) ، والعكبرى (إملاء ما من به الرحمن) ؛ وذلك لأن هذه الكتب لها طابع خاص هو العناية بالإعراب، ولا غرابة فى ذلك إذا قدمها على غيرها ، وليس معنى هذا أنه لا يقدم أقوال غيرها ، فنراه دائما يحتج بأقوال غيرهم إذا دعت الضرورة إلى ذلك ، وفى هذه وتلك لا يقبل من أقوالهم إلا ما تصاحبه الصحة والسلامة ، ويرفض ما عدا ذلك بالأدلة الساطعة والمناقشة البارعة وسوف نمثل لذلك فيما يلى من نقاط .

٢ ـ لا يسلم المؤلف ـ كما قلنا ـ بما ذهب إليه المفسرين تجاه القضايا المختلفة بل يناقش الآراء ، وقد يصل إلى أن يخطئها أحيانا ، ويأتى بما يؤيد ما ذهب إليه من الرأى الصحيح . ومثال ذلك ما ذكره من نقل ابن عطية فى تفسيره من آراء النحاة ، فقد ذكر ذلك عند تعرضه لقوله تعالى : " قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون " البقرة ٢/ ٨٠ يقول المؤلف : " قال ابن عطية : وذهب كثير من النحويين إلى أن (أم) لا تكون معادلة للألف مع اختلاف الفعلين ، وإنما تكون معادلة إذا دخلت على فعل واحد كقولك : أزيد قام أم عمرو ، وقولك : أقام زيد أم عمرو ، فإذا اختلف الفعلان كهذه الآية فليست معادلة " ثم يقول المؤلف : " هذا الذى ذكره عن كثير من النحويين غير صحيح ، ويقدم دليلا على ما يؤيد المعادلة مع اختلاف الفعلين يقول سيبويه فيقول : " قال سيبويه : وتقول : أضربت زايدا أم قتلته .... فعادل بأم والألف مع اختلاف الفعلين ... " راجع بالتفصيل مناقشة القضية ١/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣

٣ ـ وكما يرفض رأى بعض المفسرين إذا حاد عن الحقيقة ، ويميل مع رأى معظم المفسرين الذى هو المنطق والصواب ؛ نراه أيضا فى عرضه للقراءات القرآنية التى وردت فى الأساليب يناقش أصحابها ، ويصحح ، ويرجح ، ومثال ذلك ما ذكره فى مبحث (إعمال ما الحجازية) ويذكر كثيرا من الآيات التى تصلح أن تكون على اللغتين (تميم والحجاز) يقول المؤلف : " قال الشيخ تاج الدين ابن مكتوم فى (تذكرته) : [لم تقع (ما فى القرآن إلا على لغة أهل الحجاز ، ما خلا حرفا واحدا وهو : " وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم " على قراءة حمزة فإنها هنا على لغة تميم] " .

يقول المؤلف : " ذكرنا قبل ثلاث آيات جاءت فيها الجملة الفعلية خبرا لـ (ما) النافية ، فكيف يقول ابن مكتوم بما يفهم منه أنه ليس فى القرآن من هذا النوع إلا قراءة حمزة ؟

إن قراءة حمزة ، وما ذكرناه من الآيات تصلح أن تكون على اللغتين ، والأولى حملها على الحجازية لنزول القرآن بها ، وظهور أثرها فى المفرد " راجع القضية بالتفصيل ٣/ ١١٧

٤ ـ إذا اختلف رأى الواحد من المفسرين مع أكثر المفسرين ، وكان الصواب فى جانب الكثرة ؛ فإن المؤلف يرفض ذلك الرأى ويفنده ، ويميل مع الرأى الصائب ، وهذا دأبه دائما ، ومثال ذلك ما ذكره فى مبحث (أم) حول قوله تعالى : " أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار " ٣٨/ ٦٣ ذكر المؤلف رأى القرطبى فى تفسيره فقال : " وفى القرطبى ٧/ ٥٦٦٩ (إذا قرأت بالاستفهام كانت الهمزة للتسوية ، وإذا قرأت بغير الاستفهام فهى بمعنى (بل)) .

يقول المؤلف : " ليست الهمزة للتسوية ، فهذا تساهل فى التعبير " ثم يقول : " فقد جعل القرطبى (أم) متصلة معادلة الهمزة فى قوله : " أشهدوا خلقهم " وهو بعيد عن المعنى والسياق ، والأولى الوجه الآخر الذى جرى عليه أكثر المفسرين من أنها منقطعة بمعنى همزة الاستفهام الإنكارى ... "

راجع بالتفصيل ١/ ٤٠٥ ـ ٤٠٨

٥ ـ فى عرضه للقضايا الخاصة بأساليب القرآن الكريم نراه يعرض مواقف المفسرين عرضا تفصيليا لكل مفسر على حدة مع مناقشة هذه الآراء مناقشة هادئة واعية هدفها توخى الحقيقة ، وكلما فرغ من آراء مفسر انتقل إلى غيره وهكذا فنراه مثلا يقول : مواقف أبى حيان تجاه قضية معينة ، وبعد الفراغ من عرضها ومناقشتها يقول : مواقف العكبرى ثم أبى السعود والجمل ولا داعى للتمثيل فهى سمة عامة فى معظم الكتاب . راجع على سبيل المثال لا الحصر ٣/ ٢٣٨ ـ ٢٤٩

٦ ـ وفى ختام موقفه من المفسرين يجب الإشارة إلى أن المؤلف لا ينقل عن المفسرين نقلا عشوائيا دون دراية وتمحيص ، فنراه يستدرك على أبى حيان ـ مثلا ـ فى البحر المحيط ، ويذكر له نصين متعارضين فيقول فى مبحث (إضافة المصدر) : " ولأبى حيان فى هذا نصان متعارضان : قال فى البحر ٧/ ١٩٩ (إضافة المصدر إلى الفاعل أكثر من إضافته إلى المفعول) وقال فى البحر ٢/ ٣٩٦ (أضاف المصدر إلى المفعول وهو الكثير فى القرآن) فهو قد استنتج بقراءاته الواعية تعارض النصين رغم أن أحدهما فى الجزء الثانى من البحر المحيط ، والآخر فى الجزء السابع منه ، ثم نراه يقول : " تبين لى مما جمعته من إضافة المصدر إلى الفاعل ، ومن إضافته إلى المفعول أن إضافة المصدر إلى الفاعل تزيد عن ضعف إضافته إلى المفعول " راجع ٤/ ٢٧

ولم يصدر هذا الحكم دون إحصاء دقيق ، ولا عمل ينم عن وعى ويقين ، فنراه قد بذل جهدا علميا سبق إصدار حكمه على رأى أبى حيان ، ورفض أحد الحكمين المتعارضين ، وأن إضافة المصدر إلى الفاعل أكثر من إضافته إلى المفعول ، بل تزيد على ضعف إضافتها إلى المفعول يقول : " جمعت آيات إعمال المصدر مرتبا المصادر ترتيبا أبجديا ، ثم جمعت آيات إضافة المصدر إلى الفاعل، ثم آيات إضافة المصدر إلى المفعول ، ثم الآيات التى يحتمل فيها المصدر أن يكون مضافا للفاعل وللمفعول مع الترتيب السابق " راجع ٤/ ٢٨

وعلى ذلك فهو يتعامل مع كتب التفسير بعقلية واعية بعيدا عن الذاتية ، وقد التزم الردود الهادئة ، والمناقشات الهادفة التى يبتغى بها وجه الحقيقة والصواب .

****

ثامنا : سمات منهجه

يطيب لنا فى ختام هذه الجولة مع هذا الكتاب أن نشير إلى الملامح العامة لهذا الكتاب ، أو السمات التى يتسم بها منهج المؤلف فى كتابه ، وتتلخص هذه السمات فى النقاط التالية :

[١] يلتزم المؤلف فى كتابه من أوله إلى آخره منهجا واحدا فى تناوله للأساليب القرآنية المختلفة ، وهذا المنهج أنه يجعل دراسة أى أسلوب على مستويين : الأول يعد موجزا للموضوع لمحات عن دراسة (.....) فى القرآن ، والمستوى الآخر هو الدراسة المفصلة للأسلوب ، ويبرر المؤلف ذلك بقوله : " رأيت أن أقدم أمام دراسة كل حرف صورة واضحة موجزة لعناصر الدراسة التفصيلية ، واخترت لها عنوان : (لمحات عن دراسة ....) وهذه اللمحات أشبه بما تفعله الإذاعات فى صدر نشراتها الإخبارية من تقديم موجز الأنباء ، وآثرت هذا المنهج لأمرين :

أ ـ تقريب هذه الدراسة إلى نفوس القراء على اختلاف درجاتهم الثقافية ، وتيسرها لهم، فمن شاء اكتفى بهذا القدر ، ومن شاء رجع إلى الدراسة التفصيلية .

ب ـ كفل هذا المنهج لى حرية نقل نصوص فى الدراسة التفصيلية وفى اعتقادى أن البحوث اللغوية إن لم ترتكز على النصوص كانت كلاما إنشائيا أجوف لا غناء فيه، والوقوف على النصوص فى كتب النحو يحتاج إلى بذل الجهد ، وقد جعلت

٨ ـ لا يجوز أن تتقدم الصلة ولا بعضها على الموصول . المقتضب ٣/ ١٩٧ ، ١١٨ وتعليق ١/ ١٣ ، ٢٣ ، ١٦ ، ١٨

٩ ـ يجوز أن تتقدم بعض أجزاء الصلة على بعض ، ويتأخر بعضها عن بعض . تعليق ١/ ١٣ ، ٢٣

١٠ ـ يجوز الفصل بين الصلة والموصول بالنداء . المقتضب ٢/ ٢٩٦

١١ ـ صرح سيبويه بأن الغايات المبنية لا تقع خبرا للمبتدأ قال في ٢/ ٤٤ " ويدلك على أن (قبل) و(بعد) غير متمكنين أنه لا يكون ..... " وقال ابن هشام في المغني ٢/ ١٣ : " الغايات لا تقع أخبارا ولا صلات ..... " وفي الشمسني ٨٦/٢ " بل الصلة هي ..... " وفي البحر ٥/ ٣٣٦ : " الظروف التي غايات إذا بنيت لا تقع أخبارا للمبتدأ جرت أو لم تجر ..... "
راجع بالتفصيل ٣/ ١٧٨ ـ ١٧٩

ومن هنا يتضح قدرة المؤلف الفائقة على العرض الشيق لأبعاد الموضوع ، ثم الاستنتاجات المشفوعة بأقوال النحاة والمفسرين ومواضع هذه الأقوال وأجزائها وصفحاتها ، في إيجاز غير مخل ، هذا بالاضافة إلى ما سبق الحديث عنه وهو بداية الموضوع بذكر موجز له يسميه (لمحات عن) وبذا يكون القارئ أمام موضوع له مقدمته الموجزه ، وعرضه التحليلي ، ونتائجه التي تجمع فيها شمل ما تفرق في ثنايا الموضوع .

[٤] الدقة المتناهية في الحصر الذي يقوم على الوعي والإدراك والقصد ، بل أحيانا كثيره يشير إلى أعداد ضخمة من الآيات والمواضع التي أحصاها حول قضية ما ، فنراه يقول على سبيل المثال في مبحث (دراسة نون التوكيد في القرآن الكريم) : " أفعال الأمر كثيرة جدا في القرآن ، أحصيت مواضعها فكانت ١٨٤٨ موضعا . جاءت أفعال الأمر في هذه المواضع غير مؤكده بالنون ، لا في رواية حفص فحسب ، وإنما جاءت كذلك في جميع القراءات العشرية المتواترة ، كما جاء كذلك في الأربع الشواذ المشهورة فيما بيننا .

وبذلك خلت القراءات الأربع عشرة من توكيد فعل الأمر بالنون ، وهذه ظاهرة لغوية جديرة بالدرس والتسجيل ..... " راجع ٣/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩

ونظرا لطول الآيات أو أبعاضها طلبا للإيجاز ويقول عن ذلك : " وسأكتفي طلبا للإيجاز بذكر الأفعال وحدها دون بيان مواضعها " ثم يذكر الأفعال .... "

راجع ٣/٤٦٥ ـ ٤٦٨

وهذا يدل على عقلية رياضية منظمة ، ومنهج محكم مقصود ، فهو لا يهدف إلى حشد المعلومات لأدنى داع ، ولولا هذا الإحكام لخرج مؤلفه في أضعاف أضعاف حجمه ، ولا انتفع به خير وجه طالبوه .

[٥] ومن الدقة المتناهية أيضا ما قدمه تجاه الأبنية الصرفية ، والحصر القائم على الاستقراء الدقيق لأساليب القرآن الكريم فنراه مثلا يذكر في مبحث (أبنية الاسم الرباعي) أن كلمة (برزخ) وردت في ثلاثة مواضع ، وكلمة (خردل) في موضعين ، و (سرمد) في موضعين ، و (رفرف) في موضع و(صرصر) في ثلاثة مواضع ، (صفصفا) في موضع ، وكلمة (الحناجر) جاءت جمعا ، ولم يذكر لها مفرد في القرآن (حنجرة) ومثال (برثن) جاء (زخرف) في أربعة مواضع ، و(سندس) في ثلاثة مواضع ، ومن مضاعف الرباعي (الهدهد) في موضع و (اللؤلؤ) في ستة مواضع ، ومن مثال (زبرج) جاء منه ما هو مختوم بالتاء في كلمتين (شرذمة وسلسلة) .. ثم نراه يقول : " نلحظ أن ما جاء من أبنية الاسم الرباعي وقع في النصف الثاني من القرآن سوى كلمة (الزخرف) .....

راجع ٤/ ٩ ـ ١١

[٦] ومن خلال استقرائه الواعي يستطيع أن يصدر ـ في ثقة ـ أحكامه بوجود الأساليب أو عدم وجودها في كتاب الله وعلى سبيل المثال نراه في الأبنية التي لم يرد لها ذكر في القرآن الكريم لا يذكر أنها غير موجودة فحسب ، بل يبين المتفق عليه من هذه الأبنية يقول عن (أبنية الاسم الخماسي المجرد) " إنها لم يقع شئ منها في القرآن لا في المتواتر ولا في الشواذ : ثم يذكر الأبنية المتفق عليها ليقف عليها القارئ يقول :

" الأبنية المتفق عليها هى : سفرجل ، حجرمش ، قرطعب ، قذعمل ، وكلها من غريب اللغة " راجع ٤/ ١٢

وكذلك فى صيغ الأفعال يقول مثلا فى صيغة (الفعل الرباعى المزيد) " الفعل الرباعى المزيد بحرف واحد ليس له وجود فى القرآن الكريم " ٤/ ١٨ . وهذا دأبه فى كل الإحصاءات التى يقدمها حول أى أسلوب من أساليب القرآن الكريم .

[٧] ومن السمات الجديرة بالذكر استدراكه على اللغويين والنحاة ، والإشارة إلى مواطن الخلاف والخطأ ليكون القارئ على علم بما يقرأ ، ولا يقوم استدراكه على النقد اللاذع أو التصيد ، ولكن الصحة والوصول إلى الحق هو طريقه فلم يدفعه شئ من مقومات عبقريته واطلاعه الفائق على تجريح أو تقليل من جهد السابقين . ونراه على سبيل المثال يجد فى كتاب (من أسرار اللغة) للدكتور أنيس ــ رحمه الله ــ تناقضات مع واقع القرآن يقول المؤلف : " الدتور إبراهيم أنيس فى كتابه أسرار اللغة : زعم أن باب (كرم) فى القرآن فعلان ، وقال عن إحصائه بابى (نصر وضرب) بما لا يتفق وواقع القرآن رحمه الله وعفا عنه " راجع ٤/ ٢٠ هامش [١] .

ويستدرك على السيوطى فى كتابه (المزهر) حيث يقول المؤلف : " قال السيوطى فى كتابه (المزهر) ٢/ ٥٤ [وليس فى كلامهم مصدر على عشرة ألفاظ إلا مصدرا واحد وهو : لقيت زيدا لقاء .....] [٢] وأنا أقول : ذكر أبو حيان للفعل (لقى) أربعة عشرا مصدرا [٣] ..... البحر ١/ ٦٢ كما ذكر للفعل (شئ) ستة عشر

---

(١) ذكر د/ إبراهيم أنيس فى كتابه (من أسرار اللغة) عن أبواب الثلاثى الصحيح وكيف تكون قياسية إحصائية مفصلة لهذه الأفعال ، وقد رأى الشيخ عضيمة أن الدكتور أنيس زعم أن باب (كَرُمَ) فى القرآن فعلان ، وقال عن إحصائه بابى (نَصَرَ وضَرَبَ) بما لا يتفق وواقع القرآن ، وقد قدم د/ أنيس إحصائية حول هذه الأفعال وغيرها تسترعى الانتباه والدراسة ، إلا أن الشيخ عضيمة قد رآها زَعْماً ولم يقدم ما يفند هذه الإحصائية . راجع من أسرار اللغة ص ٤٦ وما بعدها .

(٢) ونص السيوطى هو :

" ليس فى كلامهم مصدر على عشرة ألفاظ إلا مصدرٌ واحد وهو : لقيت زيدا لِقَاءً ولِقَاءَةً ولَقِىَّ ولَقْياً ولُقِياً ولَقِيَّةً ولِقْياناً ولُقْياناً ولِقْيانَةً . " راجع المزهر ٢/ ٨٣

(٣) راجع نص أبى حيان إذ يقول : " ..... والفعل منه لقى يَلقى ، وقد يقال لاَقَى ، وهو فاعل بمعنى الفعل المجرد ، وسمع لَقِىَ أربعة عشر مصدراً قالوا : لِقِىَ لُقِياً ولِقاءً ولُقِيَّةً ولُقاةً ولقاءً ولقِىً ..... " البحر المحيط ١/ ٦٢

مصدرا ثم قال : وهو أكثر ما حفظ لفعل من المصادر البحر ٣/ ٤١٠) " راجع كتاب المؤلف ٤/ ٢٥ .

[٨] فى إشاراته لما ورد فى القراءات المختلفة يلتزم الدقة المتناهية فيقول مثلا فى باب (حسب) : " وقرأ أربعة من السبعة وهم : نافع وأبو عمرو وابن كثير والكسائى مضارع (حسب) بمعنى ظن بكسر العين فى المضارع وذلك فى جميع القرآن " ٤/ ٢١

[٩] لا يسلم المؤلف بما أجمع عليه النحاة طالما أنه قد ورد فى القراءات المتواترة ، ومثال ذلك ما ذكره فى (اجتماع الساكنين المغتفر) يقول : " اشترط النحويون لاغتفار اجتماع الساكنين ثلاثة شروط :

١ ـ أن يكون الساكن الأول حرف مد ، ويلحق بالمد ياء التصغير نحو (دُوَيْبَة) .
٢ ـ أن يكون الساكن الثانى مدغما فى مثله .
٣ ـ أن يكون ذلك فى كلمة واحدة نحو (خَاصَّةً) و (ولا الضَّالين) .

هكذا اتفقت كلمة النحويين على هذا الأصل ، ثم قالوا : إذا فقد شرط من هذه الشروط امتنع اغتفار اجتماع الساكنين إلا فى الضرائر الشعرية " . ثم يقول المؤلف : " ومثار العجب : كيف يجمع النحويون على أصل ، ثم تأتى القراءات المتواترة مخالفة لهذا الأصل ، ثم يعرض النحويون عنها ، فلا يشيرون إليها ، ولا يهتمون بأمرها . لو كانت المخالفة فى قراءة ، أو قراءتين ، أو ثلاث أو فى عشر لاحتملنا الكلفة فكيف وقد جاوزت القراءات المخالفة المتواترة العشرات ، وقاربت المئات . فى الحق أنى لم أجد نظيرا لهذا فى دراستى " ثم يذكر المؤلف هذه القراءات التى تخالف ما اجتمع عليه النحويون . راجع بالتفصيل ٤/ ٣٧ وما بعدها .

[١٠] من سمات منهجه أنه لا يكرر نفسه ويسوق المعلومات التى سبق إيرادها رغم الحاجة إليها فى أسلوب آخر وموضع آخر ، ولكنه يحيل القارئ إلى موضعها الأول ، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها ما ذكره عند الحديث عن (خبر كان مع لام الجحود)

فلم يذكر الآيات التى ورد فيها لام الجحود لأنه سبق ذكرها من قبل فيقول بعد الحديث عن مذهب البصريين ، ومذهب الكوفيين : انظر الحديث عن لام الجحود وآياتها فى القسم الأول ٢/ ٤٥٦ ـ ٤٦٢ ، راجع ٨/ ٣٥٤

[١١] لا يهمل المؤلف الشواهد الشعرية فى معالجة القضايا النحوية والصرفية ويحيطها بشروح تساعد على توضيح المعنى ، وتجلية الأساليب التى يسوقها من خلال ورودها فى القرآن الكريم . ومثال ذلك ما ذكره فى (حذف الاسم الموصول) يقول : " وقالوا فى بيت حسان :

فمن يهجو رسولَ اللَّهِ منكم ويمدحُه وينصرُه سواء

إنما المعنى : ومن يمدحه وينصره . وليس الأمر عند أهل النظر كذلك ، ولكنه جعل (من) نكرة ؛ وجعل الفعل وصفا لها ، ثم أقام الثانية الوصف مقام الموصوف ، إذا كان دالا عليه .

وقال الرضى فى شرح ٢/ ٥٧ " وأجاز الكوفيون حذف غير الألف واللام من الموصولات الاسمية : خلافا للبصريين ... ولا وجه لمنع البصريين من حيث القياس ؛ إذ قد يحذف بعض حروف الكلمة ، وإن كانت فاء أو عينا وليس الموصول بأنزق منها " ٨/ ١٨٧

[١٢] نظرا لاهتمامه بالقراءات وكونها حجة فى صحتها وتواترها وسماعها من أفصح الخلق أجمعين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن المؤلف قد أولاها عناية خاصة ، وما من أسلوب إلا ويختتم الحديث عنه بكل أوجه القراءات المختلفة ، ويبدأ ذلك فى معظم الأحيان بالقراءات الشاذة ، وفى كل قسم يحيط القارئ بهالة كبيرة من مراجع القراءات ، وأرقام صفحاتها ، وآراء أصحابها . راجع على سبيل المثال ما ذكره فى مبحث (دراسة الأسماء الموصولة) ٨/ ٢٠٩ ـ ٢١٢

[١٣] فى تناوله للأساليب النحوية والصرفية فى القرآن الكريم لا يكتفى بذكر القضايا المتعلقة بورود الأساليب فى القرآن الكريم ، بل غالبا ما ينقل المعنى الذى يبين للقارئ معنى الكلمات ، وهذا النقل يكون توضيحا للكلمة ، كما أنه ينتقل من كتاب إلى كتاب :

ما بين كتب التفسير واللغة وغيرها . ومثال ذلك ما ذكره فى تناوله لأسلوب (أفعل) التفضيل وتحت قوله تعالى : " ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون " ٣٠/ ١٢ يوضح معنى (أبلس) فينقل من المصادر المختلفة ما نصه : " فى الكشاف ٤/ ٤٧٠ الإبلاس: أى يبقى بائسا ساكنا متحيرا ، يقال : ناظرته فأبلس ، إذا لم يبس ويئس من أن يحتج ، ومنه الناقة المبلاس : التى لا تزغو . وقرئ (يبلَس) بفتح اللام من أبلَسه : إذا أسكته. البحر ٧/ ١٦٥ .

فى ابن خالويه ١١٦ " يبلس المجرمون " على رضى الله عنه والسلمى . وفى المفردات : الإبْلاسُ : الحُزْنُ المعترض من شِدّةِ البَأْسِ ، يقال : أَبْلَسَ ، ومنه اشْتُقَّ إِبْلِيسُ فيما قِيلَ ، ولما كان المُبْلِسُ كثيرا ما يلتزم السكوت وينسى ما يعنيه قيل : أَبْلَسَ فلانٌ : إذا سكت وإذا انقطعت حجته ، وأَبْلَسَتِ الناقةُ فهى مِبْلَاسٌ : إذا لم تزغ لشدّةِ الضيعة " ٤/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦

وأحيانا أخرى يكون أقل تفصيلا إذا كانت الكلمة لا تحتاج إلى تفصيل فيقول حول (أنصت) فى قوله تعالى : " وإذا قُرِئَ القرآن فاستمعوا له وانْصِتُوا " ٧/ ٢٠٤ والإنصات:هو السكوت مع الإصغاء إليه "البحر ٤/ ٤٥٢ راجع كتاب المؤلف ٤/ ٢٣٤

ويغلب عليه الإشارة السريعة إلى معنى الكلمة ، ويكون ذلك فى معظم الأحيان من كتاب المفردات للراغب فيقول مثلا فى كلمة (فَاصْدَعْ) " فى المفردات : الصَّدْعُ الشَّقُّ فى الأجسام الصُلبة كالزجاج والحديد ونحوهما . يقال صَدَعْتُه فانْصَدَعَ ، وصَدَعْتُه فتصدَّعَ ، وعنه اسْتُعِيرَ صَدَعَ الأمْرَ أى فَصَلَهُ " راجع ٥/ ١١٨

وقد يكون أشد إيجازا فى تعريف الكلمات فيقول " فى كلمة (فَامْسَحُوا) فى المفردات : المَسْحُ : إمْرَارُ اليدِّ على الشئ وإزالةُ الأثَرِ عنه ، وقد يستعمل فى كل واحد منهما " ٥/ ١١٩

ومثله:" فى المفردات:الوكز:الطَّعْنُ والدَّفْعُ والضَّرْبُ بجميع الكَفِّ"راجع٥/ ٢٢٧

[١٤] لا يلجأ المؤلف إلى الاستطراد والتزيد رغم ضخامة هذا المؤلف ، ونراه يشير إلى أرقام الآيات دون كتابة الآيات حتى لا يتضخم الموضوع ومثال ذلك ما كتبه فى دراسة (أن) وتحت عنوان (ما يحتمل تعدد الخبر) قال : " يحتمل أن يكون خبر (إن) المكسورة الهمزة متعددا على رأى من يجيز ذلك فى : ٢/ ١١٥ ، ١٤٣ ،

١٧٣، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩٩ ، ٣/ ١٥٥ ، ٥/ ٣٩ ، ٦/ ٨٣ ، ١٢٨ ، ٧/ ١٠٩ ، ١٥٣ ، ٨/ ١٠ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٥٢ ، ٦٩ ..... ويذكر الأرقام للآيات .

راجع ١/ ٥٣١ ـ ٥٣٢

ويقول : " كسر همزة (إن) فى مقام التعليل كثيرا جدا فى القرآن ويذكر ما يزيد على أرقام ثلاثمائة آية دون كتابة الآيات . راجع ١/ ٥٧٠ ـ ٥٧١

[١٥] وفى ختام هذه السمات نشير إلى أنه يعالج قضاياه التى يستقيها من أساليب القرآن الكريم بالإحاطة الكاملة والشمول لكل جوانب الموضوع سواء النحوية أو الصرفية على حد سواء ، ومثال ذلك ما ذكره فى دراسة (إذ) فى القرآن الكريم فكتب تحت هذا الموضوع كل ما يتعلق بالأسلوب مثل :

* كونها من الظروف المبنية والدليل على اسميتها .
* وإذ .
* فإذ .
* (إذ) بدل من المفعول به .
* (إذ) بدل من (يوم) .
* ما تتعلق به (إذ) .
* تعلق (إذ) بما فيه معنى الفعل .
* تعلق (إذ) بنبأ .
* تعلق (إذ) بحديث .
* عمل كان الناقصة فى الظرف .
* عمل كان فى (إذ) ..... راجع بالتفصيل ١/ ١٠٧ ـ ١٥٣

ومثال آخر لإحاطته بالجوانب الصرفية لأى موضوع أيضا ما ذكره فى دراسته للفعل المضاعف يناقش العديد من القضايا مثل :

* لمحات عن دراسة الفعل المضاعف .
* الفعل المضاعف (الماضى وحده) .
* باب (نَصَرَ) من المضاعف .
* باب (ضَرَبَ) من المضاعف .
* باب (عَلِم) من المضاعف .
* باب (أَفْعَلَ) من المضاعف .
* باب (فعل) من المضاعف .
* باب (فَاعَل) من المضاعف .

..... راجع بالتفصيل ٥/ ١٧٠ ـ ٢٢٤

وبعد .....

فلا نملك فى نهاية جولتنا مع هذه الموسوعة العلمية إلا أن نشيد بأهميتها فى خدمة الدراسات القرآنية والنحوية وغيرها ، وما أحوجنا إلى مثل هؤلاء العلماء المخلصين الذين بذلوا الجهد والوقت خدمة لكتاب الله العزيز ، وكشفا لأسراره ومعطاته للبشرية إلى يوم الدين .

وعلى رجال التفسير والمعنيين به من العلماء والباحثين الاستفادة من هذا الجهد الضخم الذى بذله المؤلف فى كتابه ، وإيجاد قنوات اتصال بين الأساليب القرآنية وغيرها من أساليب اللغة وفنونها ، والشعر العربى تقريبا عن ألوان جديدة من الإعجاز القرآنى .

والله أسأل أن يثيب مؤلف هذا العمل خيرا ، وأن ينفع به طلاب المعرفة إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

د . محمد إبراهيم عبد الرحمن

كلية التربية – جامعة عين شمس

من المراجـــع

* القرآن الكريم .
* الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ نشر مكتبة التراث ـ القاهرة ـ بدون تاريخ .
* البرهان فى علوم القرآن للزركشى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ نشر دار المعرفة ـ بيروت ـ بدون تاريخ .
* البحر المحيط لأبى حيان . نشر دار الفكر ـ بيروت ـ ١٩٧٨ م .
* تفسير أبى السعود ـ نشر مكتبة الرياض الحديثة ـ بدون تاريخ .
* الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ت نشر دار الشآم ـ بيروت ـ بدون تاريخ .
* دراسات لأسلوب القرآن الكريم ـ نشر دار الحديث بالقاهرة .
* صحيح البخارى بحاشية السندى ـ القاهرة ـ بدون تاريخ .
* صحيح مسلم ـ نشر دار التحرير بالقاهرة ١٣٢٩ هـ .
* كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ـ بتحقيق د/ شوقى ضيف . نشر دار المعارف ـ بدون تاريخ .
* الكتاب لسيبويه ـ بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ـ نشر الخانجى بالقاهرة ١٩٧٧م
* الكشاف للزمخشرى ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ بدون تاريخ .
* المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ـ نشر دار الدعوة استانبول ١٩٨٦ م .
* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ وضع محمد فواد عبد الباقى ـ نشر مكتبة التراث الاسلامى ـ بدون تاريخ .
* المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها لابن جنى ـ بتحقيق د/ عبد الحليم النجار وآخرين ـ نشر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٩٨٦ م .
* المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الغرناطى ـ نشر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ـ الجزء الأول و الثانى .
* المزهر للسيوطى ـ بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين ـ نشر دار التراث بالقاهرة .
* مفاتيح الغيب للرازى ـ نشر دار المعرفة بيروت ـ بدون تاريخ .

* من أسرار اللغة د/ إبراهيم أنيس ـ نشر مكتبة الأنجلو المصرية ـ الطبعة السادسة ـ ١٩٧٨ م .

* النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ـ نشر المكتبة التجارية بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ـ بدون تاريخ .

* النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ـ نشر دار إحياء الكتب العربية ـ بدون تاريخ .

****